عنوان المداخلة:

الخطاب النهضوي المحلي الراهن

بين اختلالات البنية والصدام مع الآخر المهيمن: رؤية سيميائية

الباحث: د. جمال بلعربي

(مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية

– بوزريعة – الجزائر)

مقدمة:

نتناول في هذه المداخلة إشكالية الخطاب النهضوي واختلالاته البنيوية التي تجعله يبدو خطابا غير عقلاني وبالتالي غير تاريخي ومن الصعب أن يتحقق من خلال الممارسة السياسية. نحاول أن نرصد هذا الخطاب من خلال عينات من الكتابات التي تعبر بصورة مباشرة وصريحة عن مشروع نهضوي في الجزائر وفي المنطقة الجغرافية الأوسع: الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

اخترنا أن تكون المقاربة سيميائية لأننا سنهتم بالمشروع النهضوي كما يطرحه الخطاب وليس كما يمكن أن نتصوره في مستوى أكثر عمومية وتجريدا. ونقصد بالمقاربة السيميائية للخطاب: استخراج مكونات الخطاب التي تجعل منه نسقا لإنتاج المعاني، حتى لو لم تكن هي المعاني نفسها التي يهتم بها منتج الخطاب ويهدف إلى توصيلها، على اعتبار أن الخطاب في بعض مستوياته يمارس نوعا من الاستقلالية، عن منتجه، بالنسبة لتوليد المعاني.

نحاول أن نتساءل حول مدى ارتكاز ذلك الخطاب على المعطيات الواقعية ومدى تعبيره عن الخيارات الملموسة التي تطرحها الشروط التاريخية فيصبح من الممكن للإنسان في هذه المنطقة أن يعمل على تغليب بعضها، وفقا لتصوره لمستقبله ومستقبل علاقاته مع الآخر. وهذا في إطار ما يسمى بالعولمة التي لم يعد الآخر يحتل فيها موقعا معادلا في القوة الاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية والسياسية بل أصبح له دور المهيمن الذي تقتضي مصلحته أن يضع سياسات قصيرة المدى ومتوسطة وطويلة المدى في علاقاته مع "الآخر" الذي هو نحن.

موضوعنا إذن هو الخطاب النهضوي المحلي وسياقنا هو راهننا داخل مسار العولمة ومنهجنا هو التحليل السيميائي لبنية الخطاب وهدفنا هو رصد الاختلالات البنيوية لهذا الخطاب. وسوف نعرض ذلك من خلال النقاط التالية:

- توضيح تصورنا للخطاب النهضوي
- التحليل السيميائي لذلك الخطاب
- استخراج اختلالات بنية الخطاب النهضوي المضاد للآخر
- الإشارة السريعة إلى الطرف الآخر للقضية متمثلا في الخطاب "النهضوي" الاندماجي
- اقتراح تصور جديد للخطاب النهضوي يحقق وجوده مع الآخر

1- الخطاب النهضوي

عندما نتصور صيغة مجردة وشاملة لما يمكن أن نسميه بالخطاب النهضوي الافتراضي[1] نجد أن هذا الخطاب في الثقافة السياسية الجزائرية يتميز بأنه وليد الصدام الحضاري مع الاستعمار[2]. فوعي "التخلف" والتفكير في "النهضة" (للخروج من التخلف) ناتجان عن مقارنة بين المجتمع الجزائري والمجتمع

[1]- نعتبر خطابا افتراضيا مجموع الخطابات المنتجة حول موضوع معين ومن وجهة نظر واحدة في السياق نفسه وعلى سبيل المثال –وهو ما يتفق مع هذا المقام – كتابات الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ عبد الحميد بن باديس والميثاق الوطني لحزب جبهة التحرير الوطني وقصائد الشعر الشعبي وأدب السبعينات والتعليقات الصحفية والخطب الرسمية وغير الرسمية، تشترك في الخطاب نفسه عندما يتعلق الأمر بسؤال تصور علاقتنا بالآخر الاستعماري ومستقبلنا كشعب يعاني من وعي التخلف.

[2]- نشير هنا إلى أنه لم يكن وليد رحلات استكشافية أو مطالعات أو شهادات يكون منطلقها السعي لمعرفة الآخر والاستفادة منه، فقد كان تصور الآخر، حسب ما يمكن أن نلاحظه من العديد من كتب الرحلات، تصورا سلبيا ينطلق في أغلب الأحيان من كونه غير مسلم.

الاستعماري، مع تركيز المقارنة على المنتجات التقنية. ولم ينتج وعي التخلف عن إدراك لظروف اجتماعية واقتصادية خاصة بمجتمعنا تحتاج إلى حل من منطلق حق الإنسان في حياة أفضل وقدرته على تحسين ظروفه المعيشية بالإمكانيات المتوفرة والممكن توفرها لديه.

إن سقف تصور الحاجات والنقائص في المجتمع الجزائري قد تحدد انطلاقا من المقارنة والمحاكاة للمظاهر الحضارية للمجتمع الاستعماري. وفي سياق رفض ذلك المجتمع ورفض هيمنته. أي أنه خطاب تشكل منذ البداية من منطلق صدامي عدائي فرضته الرغبة في مواجهة الاستعمار ومناهضته وربما معاقبته بالرد عليه في يوم من الأيام والانتقام منه.

يتجلى هذا الخطاب في نصوص الأدب المكتوب باللهجات المحلية في شكل قصائد وأغاني وحكايات، والمكتوب باللغة العربية الفصحى وفي البيانات السياسية والمقالات التي نشرتها الصحافة الجزائرية وتنشرها إلى اليوم. ويتمثل هذا الخطاب في نسق من المفاهيم والتصورات وحتى العبارات والمفردات يمكن أن نلخصها في الصياغة التالية:

[لقد كان الشعب الجزائري يملك قوة عسكرية واقتصادية وثقافية كبيرة جدا خلال القرون الماضية، لكنه ضعف بسبب بعض الحكام الضعفاء والفاسدين وقد استغل العدو الفرنسي هذا الضعف واستعمره وبذلك ازداد ضعف المجتمع الجزائري. وعليه أن يخرج من سباته وينهض ويصلح من أحواله الاجتماعية وذلك باكتساب التكنولوجيا التي تسمح له بالتطور، ويكون اكتساب تلك التكنولوجيا من المجتمعات القوية فيصبح في مستوى المجتمعات القوية وينافسها ويغلبها].

مثل هذا الخطاب لا يقال سرا، بل إن وسائل الإعلام الجزائرية – وبتعابير أوسع تشمل كل الأقطار العربية والإسلامية، فإن وسائطها الإعلامية هي أيضا – تكاد تكرره يوميا، وفي كل لحظة. ونجده يتردد في مدارسنا ومساجدنا ومختلف مجالات التعبير المتاحة. تترجمه الروايات والقصائد والمسرحيات.. إلخ، من مواقع مختلفة، منها من يحلم ومنها من يعبر عن تذمر ومنها من ينتقد، إلى غير ذلك. لكنها كلها قابلة للاختزال في بنية عميقة واحدة يمكن أن نعبر عنها بتوصيف سيميائي بسيط. نعتمد فيه على المربع الدلالي عند غرايماس والوظائف الأساسية التي يتيحها. فما هي بنية هذا الخطاب السيميائية العميقة، وما هي مكوناتها؟ وما هي أوجه الصراع التي تحتوي عليها وتنتجها، وما هو المنطق الذي يحكمها؟ وهذا ما سوف يمكننا من التساؤل عن الاختلالات التي تعاني منها.

2- سيميائية الخطاب النهضوي

تسمح لنا النظريات السيميائية[3] بأن نتعامل مع الخطاب الافتراضي المعبر عن نصوص كثيرة ومنوعة كما لو كان نصا سرديا، يشتغل عبر الزمان وينتقل من وضع إلى آخر وفق آليات الاشتغال السردي في أي نص حكائي. وعلى هذا الأساس يمكن أن نعتبر الخطاب النهضوي يتكون من الفاعلين التاليين: المجتمع الجزائري (فاعل رئيسي)، المجتمع الفرنسي، ثم من خلاله وفي دائرة أوسع، المجتمع الغربي بصورة عامة، وعلى رأسه أمريكا (فاعل معارض).

يعاني الفاعل من ضعف حضاري يسمى بالاصطلاح المكرس "تخلفا"، يمس جميع مظاهر الحياة ومجالاتها[4]، وربما هو وعي لحالة التخلف أكثر منه تخلفا، وهذا الفاعل لا يستحق هذا الضعف بل يعتبر ضعفه حالة عابرة في تاريخه. لا يعتبره نتيجة طبيعية وحتمية لتطور تاريخي ما، بل نتيجة خديعة ما، وفي بعض الأحيان نتيجة غضب من الله عز وجل، ويرى أن عليه أن يتخلص من هذا الضعف ويستعيد مكانته المحترمة بين الأمم.

يقف المعارض ضد الفاعل ويعترض طريقه بل هو من تسبب في ذلك الضعف في نظر الفاعل وهو يعمل باستمرار على الإبقاء عليه في حالة الضعف نفسها، بل يطمح إلى سلبه بشكل أكبر وإضعافه أكثر فأكثر.

يعتمد الفاعل في مسعاه على بعض المساندين وهم:

- المجتمعات المشتركة معه في الضعف نفسه (الأقطار العربية، الإسلامية، أقطار العالم الثالث) ويظهر ذلك من المشاريع التكتلية الجهوية التي تعلن عنها تلك المجتمعات وهي مشاريع تنتهي غالبا بالفشل دائما، إن لم تبدأ ميتة.
- المجتمعات المتسببة في ضعفه والتي تعمل باستمرار على إضعافه أكثر (فرنسا، الدول الأوروبية، أمريكا..) ويظهر ذلك من خلال العلاقات الثنائية التي يحاول المجتمع الضعيف إقامتها مع تلك المجتمعات تحت عناوين مختلفة مثل: "التعاون"، "تبادل الخبرات"، "الشراكة"، "نقل التكنولوجيا".. والتي تتحقق في الواقع في صورة مشاريع يحاول فيها المجتمع الضعيف الاستفادة من المجتمعات

[3] - Millogo, Louis. Introduction à la lecture sémiotique. L'Harmattan, Paris 2007, p. 17.

[4]- نسجل أحيانا ومن باب الدعابة أنه مجتمع متخلف أيضا عندما يضع تصورات للخروج من التخلف.

المهيمنة من أجل الخروج من حالة الضعف. إن الفاعل هنا بكل صراحة يعتقد أنه يستطيع الاعتماد على المعارض في مسار مواجهته لهذا المعارض.

- المجتمعات الناهضة التي استطاعت أن تحقق درجة من القوة الاقتصادية والعسكرية والعلمية (الصين، روسيا، بعض دول آسيا وأمريكا اللاتينية..) فهذه المجتمعات هي الأخرى مهيمنة، لكن المجتمع الضعيف يعتقد أن هيمنتها من النوع الحميد، ويراهن على خلافاتها الافتراضية مع المجتمعات المهيمنة هيمنة "خبيثة"، على أساس قاعدة "عدو عدوي صديقي".
- الكفاءات الجزائرية الموجودة في الخارج والتي يعتقد الفاعل (المجتمع الضعيف) أنها من الطبيعي أن تساند مجتمعها في مسعاه التنموي، فقط لأنها كفاءات وطنية، ويدفعها الشعور الوطني إلى التصرف لصالح وطنها. وتوجد محاولات عديدة لإبراز هذا المسعى.
- الثروات الطبيعية التي هي مصدر قوة المجتمع ومطمع أعدائه. إذ يعتقد المجتمع الضعيف أنه وبالتدريج سيصل يوما إلى التحكم التام في مصادر طاقته وبذلك يفرض إرادته التي تحقق مصالحه بشكل أفضل، ولنقل: بالشكل الأفضل. ورغم ذلك فالواقع يبين أنه كل يوم يزداد خضوعا وتبعية وخدمة لمصالح المعارض بامتياز، ولا يخدم مصالح شعبه الضعيف إلا بما يحقق مزيدا من التبعية للآخر المعارض.
- القدرة الإلهية (فالله ينصر الضعفاء، وينصر المسلمين، وإن ينصركم الله فلا غالب لكم). فملايين المواطنين، من مختلف شرائح المجتمع، يكررون يوميا رد الفعل نفسه، والذي مفاده أن الله أنزل عليهم سخطه لأفعالهم السيئة وأن مزيدا من التقوى يمكن أن يجعل الله يسلط غضبه على الآخر، الكافر، فينتصر عليه الضعفاء.

3- المشروع النهضوي كمشروع ضد الآخر:

إن الفاعل (ومن خلاله الإنسان الجزائري بصفة عامة في هذا الخطاب، أي كمعطى افتراضي داخل الخطاب وليس بالضرورة معطى واقعي) يتصور علاقته مع المعارض في صورة عدائية مطلقة. تصل إلى درجة التناقض وليس فقط مجرد التضاد. إذ يجب أن يهيمن أحدهما على الآخر، وليس الخروج من هيمنة المعارض إلا بالهيمنة عليه.

في الوقت نفسه لا يتصور مسعاه إلى التخلص من تلك الهيمنة إلا باستعمال القوة التكنولوجية والعلمية والاقتصادية والسياسية التي يملكها ويتحكم فيها المعارض. أي أن هذا الخطاب يعاني من اختلال بنيوي على هذا المستوى، فهو يعتبر معارضه الأساسي معارضا وفي الوقت نفسه مساندا.

يتصور الفاعل أنه يستطيع التحكم في ثرواته الطبيعية، وهذه واحد من أهم مسانديه في مسار تحوله، وفي الواقع تخضع تلك الثروات الطبيعية، لتقييم وتثمين وتخضع عند تحولها إلى فائض قيمة، لسوق يتحكم فيها المعارض، يعنى أنها من الناحية العملية أداة في يد المعارض وليست في يد الفاعل، يعني أنها تحت تصرف المعارض وهي أداة مساندة للمعارض وليست من مساندي الفاعل. وهذا اختلال بنيوي آخر.

من الصعب أن نتصور الآخر، المعارض، ممثلا في المجتمعات الغربية، فاعلا واحدا منسجما ويتمتع بهوية ثابتة. أو على الأقل ذات صورة مستقرة لفترة ولو قصيرة. كما لا يمكن أن نتصور الفاعل الرئيسي منسجما في صورة ثابتة ومستقرة. فهناك من التجسيدات الواقعية للمعارض حالات لا تضع المعارض في هذه الصفة بل تعتبر العلاقة معه ليست علاقة تعارض على الإطلاق وإنما يمكن أن تكون علاقة مساندة بامتياز، وهو موقف من يسمون بتعابير غير رسمية "حزب فرانسا". وبين هذه الدرجة المتطرفة والدرجة السابقة يوجد سلم كامل من الحالات المتفاوتة الدرجة.

يعني أن إنتاج مثل هذا الخطاب يعتمد على اختزال مبالغ فيه إلى درجة كبيرة ويقوم بإلغاء متطرف هو الآخر، ربما دون أن يقصد، لكن هذا الاختزال وهذا التطرف يخرجانه من دائرة العقلانية وقابلية التحقق على أرض الواقع. (وهذه الاختزالية أيضا من الاختلالات البنيوية التي تصنع ضعف الخطاب وتعطل تحقق مشروعه).

ينتج عن هذا الاختزال كثير من الضبابية والغموض بحيث يصبح من الممكن أن تلصق بالفاعل والمعارض والمساندين ومساندي المعارض.. مجموعة من الأوصاف شديدة التنافر بل والتناقض: فهذا المعارض يمكن أن يكون: المستعمر، المستعمر السابق، الإمبريالي، المستعمر الجديد، المتعامل الاقتصادي، الكافر، الجار المسلم حين يتفق في سياسته مع المعارض، المواطن صاحب الرأي المختلف.. وفي هذه المجموعة من الأوصاف يتم تجاهل المعتقدات الأخرى وحرمتها، وتجاهل الرأي الآخر وحقه في الوجود، ويتم التلاعب بالأوصاف والموصوفين، وتتم فبركة الكثير من الخطب السياسية المليئة بالمغالطات.

4- المشروع النهضوي كاندماج في الآخر

الرأي المتطرف الآخر والذي ينتج خطابا نهظويا مناقضا، يعبر عن مشروعه هو الآخر، لا يحظى محليا بكثير من الاهتمام النخبوي، ولا الشعبي، المعلن والمعبر عنه من خلال التعابير الثقافية النصية المختلفة، على الأقل تلك التي تتمتع بتزكية رسمية. أو لنقل إنه خطاب لا يتمتع بترويج كبير، وعلى الرغم من أنه يعتبر نفسه خطابا تنويريا فإن خصومه يعتبرونه خطابا تغريبيا، ورغم ذلك يمكن أن نجد علاماته حاضرة بقوة في مختلف التعابير العفوية والثقافية العالمة، تتسلل بين سطور المنتج الثقافي والفني بل والتعبير العفوي اليومي في مختلف المجالات[5]. لن نقف طويلا عند هذا الخطاب، ونكتفي بالإشارة إلى بعض خصائصه وإلى موقعه بالنسبة للخطاب النهضوي المناهض.

يقوم الخطاب النهضوي بإلحاق الخطاب المختلف عنه، كائنة ما كانت تفاصيله، ضمن مجموعة المعارضين، أو على الأقل مساندي المعارض. وبذلك يرفض من حيث المبدأ أن يستوعب أيا من تلك التفاصيل المهادنة وهو ما يؤكد أنه يشتغل في بنيته الداخلية وفق آلية التضاد، بل التناقض مع الآخر الذي يتشكل كمعارض له.

غير أننا في واقع الحال كثيرا ما نلاحظ علامات الخطاب النهضوي الإندماجي، تظهر بين الفينة والأخرى في نصوص الخطاب النهضوي، وبشكل وخاص على المستوى الشعبي والعفوي. من تلك العلامات:

تفضيل المنتج الأجنبي بصورة عامة والمنتج الأوروبي والأمريكي "الحر" عن المنتج المحلي والمنتج الأجنبي المقلد والموجه للمتخلفين: يمكن أن يكون المنتج سلعة استهلاكية أو آلة أو تقنية أو خبرة أو خدمة أو معرفة أو شهادة علمية أو علاج أو دواء..إلخ.

الإعجاب بنمط الحياة لدى الآخر: الحياة السياسية، والمهنية والاجتماعية في الكثير من جوانبها والعلمية والثقافية..إلخ.

[5]- يمكن أن نجد على سبيل المثال العديد من الفقرات المعبرة عن ذلك في سياق انتقاد الوضع الاستعماري، في: عباس، فرحات. الجزائر من المستعمرة إلى المقاطعة، الشاب الجزائري 1930. تر. أحمد منور. وزارة المجاهدين. طبعة خاصة 2010.

الرغبة القوية في الانتماء إلى الآخر والحصول على جواز سفره وجنسيته أو على الأقل حق المواطنة لديه.

التساؤل حول معقولية العداوة والكراهية (في السر والعلانية) تجاه الآخر والاعتراف بأن مبرراتها واهية.

الحنين إلى الماضي الذي يتقاطع مع فترة الاستعمار والمعبر عنه من خلال أغاني تلك المرحلة وأسلوب حياتها والصور القديمة التي تبرز أفضلية الحالة العمرانية لتلك الفترة بالمقارنة مع الراهن.

إن الخطاب النهضوي المختل في بنيته، في رأينا، ينتهي به المطاف إلى مثل هذا التناقض؛ فيصبح غير قادر على التخلص من علامات الخطاب المناقض له، وفي الوقت نفسه، كما أسلفنا غير قادر على التحقق في الواقع، وللأسف، غير قادر على التحرر من اختلالته والتطور إلى مرحلة من التوازن والمعقولية.

5- المشروع النهضوي كمشروع مع الآخر

يمكن أن نتصور صيغة مختلفة للخطاب النهضوي تضمن له درجة من المعقولية وتجعله معبرا عن الواقع الحقيقي للإنسان وللمجتمع وتجعل محاولة ترجمته في هذا الواقع اختيارا من بين اختيارات ملموسة متاحة يمكن أن يكون الآخر طرفا فيها بل ويمكن أن يرى فيها تحقيقا جادا لمصالحه.

يقوم هذا التصور على الأسس التالية:

- تجاوز النظرة العدائية للآخر، وفي الوقت نفسه تجاوز النظرة المتناقضة التي تجمع بين العدائية تجاه الآخر والاستناد إليه. وبهذه الصورة نستطيع الرهان على القيم الديمقراطية التي يكرسها الآخر، في تصورنا لوجودنا داخل مجتمعنا وتصورنا لعلاقتنا مع المجتمع الآخر.
- بلورة نظرة إنسانية تشمل الآنا والآخر، بجميع اختلافاته، وهي نظرة غير غريبة عن ثقافتنا ولا عن تاريخ الفكر في مجتمعنا عبر القرون، فهي نظرة متجذرة في السلوك السياسي والاجتماعي وفي تاريخنا الفكري، إذا استثنينا بعض المحطات الغريبة التي يمكن اعتبارها نزوات لا تمثل إلا نفسها. بل لعلها نظرة يمكن أن تحرج الآخر في الكثير من علامات العدائية والعنصرية لديه، ربما دون أن يقصد. وهو على كل حال غير مجبر على إعادة النظر في علاماته من أجل أن يحافظ على علاقة طيبة بنا. نحن الذين نحتاج ذلك.

- التواصل مع الآخر بأدوات علمية حقيقية، ربما تجد صورتها الأرقى في مشروع يسميه بعض المفكرين "علم الاستغراب"[6] كمقابل لعلم الاستشراف. ونعتقد أن مشاكلنا الحضارية لن تجد طريقها إلى الحل إلا عندما ينشط الباحثون في هذا الإطار لإخراج نظرتنا إلى الآخر من النظرة الفولكلورية العجائبية المتناقضة (التي تجمع بين الكراهية المتطرفة والانبهار المعتوه) إلى تواصل يقوم على معرفة وفهم حقيقيين، منتجين للتعارف (التعامل بالمعروف) الذي يدعو إليه الدين الإسلامي الحنيف. فعلم الاستغراب يمكن أن يرسم لنا صورة صحيحة وواقعية عن الغرب ويساعدنا على فهم أسباب أخطائه في تصوره لنا ثم يساعدنا على جعله يتجاوز تلك الأخطاء.ويساعدنا على ترقية صورتنا والاشتغال الدائم على ضمان دقتها ووضوحها.
- الانتباه إلى أن المشروع الحضاري يكون متخلفا عندما يتجاهل الآخر أو يتشكل ضده، وسواء في ذلك الآخر المهيمن أو الآخر "المتخلف" والمختلف. فمشروعنا الحضاري الأول المتمثل في الرسالة المحمدية لقي الانتشار والتحقق الذي لقيه عندما اقترح تصورا جديدا للعلاقات البشرية يستوعب جميع البشر. وعملا بهذه القاعدة، لا نتصور مشروعا حضاريا ينجح إلا إذا كان يستوعب جميع البشر. لكن الزمن الآن مختلف، وهو ليس زمن رسالات سماوية، بل زمن التصورات البشرية وأعمال البشر. لذلك يمكن أن نتصور مشروعا حضاريا يتجاوز فكرة الانتشار والهيمنة إلى فكرة التعايش الإيجابي في حضارة نحن لا نملك أدواتها الأقوى، ومن مصلحتنا أن تخضع تلك الأدوات الحضارية، من مادية ومعنوية، لإدارة مؤسسات وهيئات دولية ذات مصداقية وفعالية، وعلى مشروعنا بالذات أن يشمل العمل النضالي من أجل ترقية تنظيمها وأدائها.

خاتمة:

مما سبق يمكن الاستنتاج أن المشروع النهضوي الجزائري عبارة يمكن أن تكون مجازفة أمام الخصوصيات الجزائرية التي تجعلها تشترك في الديانة مع الأقطار الإسلامية وفي اللغة مع الأقطار العربية من جهة ومع بعض الأقطار الإفريقية من جهة أحرى. ومن الخصوصيات الجزائرية وجود ملايين المواطنين الجزائريين والفرنسيين في الوقت نفسه، وكثيرا ما يتجاهل الخطاب النهضوي هذه الحقيقة، على

[6]ـ الأستاذ أحمد الشيخ، باحث ومترجم مصري مقيم بفرنسا يشتغل على هذا المشروع منذ ما يقارب عشرين سنة، عن طريق الترجمة والبحث في الثقافة الغربية ويقدم نتائجه من خلال المحاظرات والمقالات والحصص التلفزيونية، ونعتقد أن هذه الجهود يمكن أن تلعب دورا مهما في مثل هذا المقام.

الرغم من أنه يتشكل من أجل هؤلاء الجزائريين الفرنسيين أيضا، دون أن يستعملهم كأداة من أدوات واقعيته. ومن خصوصياته أيضا الانتماء المتوسطي الذي كثيرا ما يتجاهله الخطاب النهضوي.

يعاني الخطاب النهضوي من اختلالات بنيوية ناتجة عن تشكله بطريقة انفعالية وعن عدم تمكن النخب السياسية والثقافية من مناقشة وتطوير القيم الاجتماعية والسياسية وبنائها على معطيات راهنها. وهو خطاب يتبناه الأدباء والشعراء منهم على وجه الخصوص ويأتي في صورة تعليقات صحفية ولا ينتجه مفكرون.

من الصعب إذن أن نتحدث عن مشروع نهضوي خارج الخطاب وغير قادر على إنتاج خطابة بإرادة ومسؤولية، فالهوة بين المشروع والخطاب المرافق له تدل على غموض المشروع أيضا مثلما هو الخطاب مختلا. وتدل على استحالة تحقق المشروع على أرض الواقع.